جامعة الموصل/كلية الآداب

قسم الترجمة/الدراسة الصباحية والمسائية

الصف الأول

الفصل الثاني

البلاغة العربية

١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م

الأسلوب الخبري والإنشائي

تعريف علم المعاني:

هو علمٌ يَدْرُسُ ظواهرَ تعبيريةً كثيرةً، كالأساليبِ والتقديمِ والتأخيرِ، والتعريفِ والتنكيرِ، والذِّكْرِ والْحَذْفِ، والتعريفِ والتنكيرِ، والتأكيدِ وعدمِهِ، والْقَصرِ وعَدَمِهِ، والإيجازِ والإطنابِ.

نَزَلَ القرآنُ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، علَى أَفْصَحِ العربِ وأقومِهِمْ لِسَانًا، وكان القرآنُ الكريمُ هو الْمُعْجِزَةُ الْكُبْرَى للرَّسُولِ ﷺ حيث تحَدَّاهُم اللَّـهُ أنْ يَأْتُوا بمثلِهِ، بل أنْ يأتُوا بسورةٍ منه، وعَجَزَ العَرَبُ وأذعَنُوا وَاسْتَسْلَمُوا لهَذَا الإعجازِ البيانيِّ الرائعِ، وَاستمرت تلك الْمُعْجِزَةُ البيانيةُ على مَرّ العصورِ والأجيالِ شاهدةً عَلَى صِدْقِ النبيِّ ﷺ وقوةِ رِسَالَتِهِ.

وهذا القرآنُ الْمُعْجِزَةُ للبشريةِ يَقِفُ الْمُسْلِمُ أَمَامَهُ مُنْبَهِرًا، يَقِفُ بينَ الإعجازِ وبينَ سَلاسَةِ الأسلوبِ وسهولةِ العبارةِ وقوةِ نَفَاذِهَا إِلَى أَعْمَاقِ القُلوبِ، لا تَعْقِيدَ ولا تَكَلُّفَ ولا تَرْكِيبَ.

يَقْرَأُهُ العالِمُ الْمُتَخَصِّصُ فَيَشْعُرُ بالضَّعْفِ أَمَامَ رَوْعَةِ أُسْلُوبِهِ وَبَيَانِهِ، وَيَسْمَعُهُ الأُمِّيُّ فيزدَادُ إيمانُه وخُشوعُه، ويتلُوهُ الأَعْجَمِيُّ فَيَخِرُّ للَّـهِ سَاجِدًا دُونَ أنْ يَجِدَ تَفْسِيرًا لِقُوَّةِ سُلْطَانِهِ على قَلْبِهِ.

وَلا غَرْوَ، ولا عَجَبَ، فهذا كلام الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧]، وقال الله: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً ﴾ [النساء: ١٢٢].

وهذا الكتابُ الذي لا يأتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بين يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ، وَلأَنَّ هذا القرآنَ كتابُ هِدَايَةٍ وبيانٍ ودلالةٍ وإرشادٍ، فقد عُرِضَتْ آياتُهُ بأُسْلوبٍ رَصِينٍ، بل

بأساليبَ متعددةٍ؛ لِئَلا تَمَلَّ الـقُلُوبُ، أَوْ تَكِلَّ الأَفْهَامُ. تَبْدَأُ الآيةُ بأُسْلُوبٍ رَائِعٍ ثمَّ تَنْتَهِي بأُسْلُوبٍ أَخَّاذٍ، وتزدادُ نَبَضَاتُ القلبِ فِي تَنَقُّلِهِ بينَ آيَاتِهِ وَمَعَانِيهِ، فَلا تَـمُجُّهُ الآذَانُ، وَلا تَتْعَبُ فيهِ الأَذْهانِ، تنزيلٌ مِنْ عَزِيزٍ حكيمٍ.

فالعاقلُ قبلَ أنْ يتكلمَ يُديرُ الكلامَ عَلَى ذِهْنِهِ ويَعْرِضُهُ عَلَى تَفْكِيرِهِ، فَتَأْتِي النِّسْبَةُ فِي ذِهْنِهِ، وَيَنْطِقُهَا لِسَانُهُ، وهذه النسبة قبل أنْ يُفَكِّرَ فيها ويَنْطِق بها لها واقعٌ.

فمثلًا حينَ تقول: مُحَمَّدٌ مُجْتَهِدٌ.

قبل أن تنطق بها جال في خاطرك اجتهادُ محمدٍ، وهذه تُسَمَّى نسبةً ذِهْنِيَّةً، فَإِنْ قُلْتَ: (مُحَمَّدٌ مُجْتَهِدٌ) أَصْبَحَتْ نِسْبَةً كلامِيَّةً، فإنْ وَجَدَ شَخْصًا اسْمُهُ محمدٌ، وهو مجتهدٌ فعلًا، فإن النسبةَ الذِّهْنِيَّةَ الكلامية أَصْبَحَتْ نسبةً واقعيةً، والخبرُ بها خَبَرٌ صَادِقٌ.

فإنْ كانت النسبةُ الكلاميةُ لا واقعَ لها كأنْ لا يُوجدُ شخصٌ اسمُهُ محمدٌ أو وُجِد، لكنَّهُ غيرُ مجتهدٍ، فالخبر هنا كاذبٌ. وهذا هو الأسلوب الخبري الذي يحتملُ الصدقَ أو الكذبَ.

وهناك الأسلوبُ الإنشائيُّ الذي لا يحتمل الصِّدْقَ، ولا يحتملُ الكذبَ؛ لأنَّ النسبةَ الواقعيَّةَ فيه متأخرةٌ عن النسبة الكلامية كما لو قُلْت: (ذَاكِرْ دُرُوسَكَ). فواقع هذه العبارة سيحدث في المستقبل؛ لذلك لا يُوصَف الإنشاء بالصدق أو بالكذب.

والتدقيقُ العلميُّ يقول: الصدق الحقيقي أنْ تطابِقَ النسبةُ الكلاميةُ الواقعَ والاعتقادَ، فإن اعتقدتَ شيئًا ولم يحدثْ، فالنسبة كاذبةٌ وأنتَ غيرُ كاذِبٍ؛ لأنَّ هناك فَرْقًا بينَ الْـخَبَرِ والْـمُخْبِرِ.

تعريف الأسلوب:

الأسلوب هو الطريقُ الذى يُعَبِّرُ بِهِ الكاتبُ أو الأَدِيبُ عَمَّا يَدُورُ فِي نَفْسِهِ من أفكارٍ. ويَنْقُلُ مَشَاعِرَهُ وَأَحَاسِيْسَهُ إِلَى القارئِ والسامعِ.

وينقسم الأسلوب إلى:

أسلوب خبرى .

أسلوب إنشائى.

أولاً: الأسلوب الخبري:

والخبر هو القول الذي يُوصَف بالصدق إنْ طابق الواقع، ويُوصَف بالكذب إن خالف.

أو هو قول يُرَادُ إفادةُ السامع فائدةً مَا. وهو كُلُّ ما يحتمل الصدق والكذب لِذَاتِهِ. مثل: سَتُمْطِرُ السَّمَاءُ غَدًا - كَثْرَةُ الطعامِ مُفِيدَةٌ - قَدْ تَعْفُو الدَّوْلَةُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْـمَساجين هذا العام .

الفائدة الحقيقية للأسلوب الخبري:

هو إفادة المخاطب بحكم لم يعرفه المخاطب من قبل، وهذا ما يسمى (فائدة الخبر) وقد يلقى الخبر لإفادة المخاطب أن المتكلم عالم بهذا الحكم ويسمى (لازم الفائدة).

الفائدة البلاغية للأسلوب الخبري:

قد يخرج الخبر عن فائدته الحقيقية إلى فوائد بلاغية. منها:

١ - **الفخر والإعجاب**: مثل قول الشاعر:

أَنَـا الَّـذِي نَظَـرَ الْأَعْمَـى إِلَى أَدَبِي وَأَسْـمَعَتْ كَلِـمَاتِي مَـنْ بِـهِ صَـمَمُ

٢ - **المدح**: مثل قول الشاعر:

نَثَــرْتَهُمْ فَــوْقَ الأُحَــيْدَبِ نَثْــرَةً كَـمَا نُثِـرَتْ فَوْقَ الْـعَرُوسِ الدَّرَاهِمُ

الأحيدب: موضع، وقيل: اسم الجبل الذي عليه مدينة الحدث.

يقول: إنك قتلْتَ الأبطالَ في كلِّ موضِعٍ من هذا الجبل، وَنَثَرْتَهُمْ عليه كما تُنْثَرُ الدّرَاهِمُ فوقَ العَرُوسِ.

٣- **التحسر والحزن وإظهار اللوعة**. مثل قول الشاعر:

ذَهَــبَ الــصِّبَا وَتَــوَلَّتِ الأَيَّــامُ فَعَـلَى الـصِّبَا وَعَـلَى الـزَّمَانِ سَـلام

٤- **التوبيخ والتأنيب**: مثل قولك لمن سَقَطَ عَلَى الأَرْضِ: الْـمِصْبَاحُ فِي يَدِكَ .

٥- **الوعظ والإرشاد**: مثل قولك: كُلُّ مَذْكُورٍ سَيُنْسَي. وكُلُّ مَشْهُورٍ سَيَفْنَى، لَيَسْ َغَيْرُ اللَّـهِ يَبْقَى.

ثانيًا: الأسلوب الإنشائي:

وهو الكلام الذي لا يحتمل الصدق أو الكذب. أو لا يمكن أن يوصف صاحبه بالصدق أو الكذب.

الكلام العربي مُقسَّم إلى خبر وإنشاء، فالخبر نسبة كلامية، فإنْ كان لها معنى ومدلول فهي نسبة واقعية.

أما الإنشاء فهو مقابل الخبر يعني: قَوْلٌ لا يُوصَف بصدق ولا بكذب، كأن تقول لإنسان: قِفْ، فهذا أمر لا يقال لقائله: صادق، ولا كاذب .

أنواع الأسلوب الإنشائي:

١ - **طلبي**: وهو (الأمر - النهي - الاستفهام - التمني - النداء).

٢ - **غير طلبي**: وهو (التعجب - المدح والذم - القسم) .

ولكل نوع من هذه الأنواع صوره وأغراضه الحقيقية والبلاغية، وإليك التفصيل:

الإِنْشَاءُ الطَّلَبِيّ:

الأَمْـــرُ

وله أربعُ صورٍ:

١ - **فعل الأمر**. مثل: اِحْرِصْ عَلَى الْـخَيْرِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْـيَمَنِ فَقَالَ: «**اتَّقِ دَعْوَةَ الْـمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّـهِ حِجَابٌ**» رواه البخارى.

٢ - **المضارع المقترن بلام الأمر**. مثل: لِتَحْرِصْ عَلَى الْـخَيْرِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ الْـحَمْدُ للهِ وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّـهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّـهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّـهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ**» رواه البخارى.

٣- **المصدر النائب عن فعل الأمر**. مثل: حِرْصًا عَلَى الْـخَيْرِ.

والتقدير: اِحْرِصْ حِرْصًا.

قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ**» رواه الحاكم والطبراني والبيهقي.

٤ - **اسم فعل الأمر**. مثل: عَلَيْكَ بِالْـخَيْرِ.

مثل قول الله: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٠٥** ﴾ [المائدة: ١٠٥].

ومثل: حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ.

الفائدة الحقيقية لفعل الأمر:

هو طلب تنفيذ الفعل على وجه الإلزام والإجبار والاستعلاء.

مثل قول الله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المائدة: ٣٥].

فكل من: (اتَّقُوا - ابْتَغُوا - جَاهِدُوا) فعل أمر، والأمر هنا حقيقيٌّ لا بلاغة فيه.

الفوائد البلاغية لفعل الأمر:

يَخْرُجُ الأَمْرُ عَنْ مَعْنَاهُ الْـحَقِيقي؛ لِيثِيرَ الانتِبَاهَ، وَيُوقِظَ الذِّهْنَ، وَيُعْمِلَ الْـعَقْلَ، وَيَأْخُذَ الْـمُتَلَقِّي إِلَى مَا وَرَاء الظَّاهِرِ، وَيُمْتِعَ النَّفْسَ بالْـمُشَارَكَةِ الْـوجْدَانِيَّةِ بَيْنَ الْـمُتكَلِّمِ وَالسَّامِعِ أَوِ الْـمُتَلَقِّى لِيُفِيدَ الفوائد التالية:

١ - الدعاء:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الأَمْرُ مِنَ الأَقَلِ إِلَى اللَّـهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، مثل قول الله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥١].

﴿ ٱغْفِرْ ﴾: فعل أمر يفيد الدعاء، والأحسن أن نقول: فعلُ دعاءٍ، إذ جاء الأَمْرُ مِنَ الأقلِ إلى الله سبحانه وتعالى .

٢ - الرجاء:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الأَمْرُ مِنَ الأَقَلِ إِلَى الأَعْلَى .

مثل قولك للمعلم: اشْرَحْ هَذَا الدَّرْسَ - أَعْطِنِي الْـكِتَابَ يَا أَبِي .

اِشْرَحْ - أَعْطِنِي: كل منهما فعل أمر يفيد الرجاء، إذ جَاءَ الأَمْرُ مِنَ الأقلِ إلى الأعلى، وهو المعلم - الأب .

٣ - الالتماس:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الأَمْرُ مِنْ شَخْصٍ إِلَى شَخْصٍ مُسَاوٍ لَهُ فِي المَكَانَةِ وَالْـمُسْتَوَى. أَوْ بَيْنَ شَخْصَيْنِ مُتَسَاوِيَيْنِ فِي الدَّرَجَةِ وَالْـمَنْزِلَةِ.

مثل قَوْلِكَ لِصَدِيقِكَ: اِسْمَعْ إِلَى كَلامِ الأُسْتَاذِ يَا طَارِقُ.

اسمعْ: فعل أمر يفيد الالتماس؛ إِذْ جَاءَ الأَمْرُ بَيْنَ شَخْصَيْنِ مُتَسَاوِيَيْنِ فِي الدَّرَجَةِ وَالْـمَنْزِلَةِ وَالْـمَكَانَةِ.

٤ - النصح والإرشاد:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الأَمْرُ يَشْمَلُ نُصْحًا وَإِرشادًا، مثل قولِ الأَبِ لابنِهِ: اِجْتَهِدْ فِي دِرَاسَتِكَ يَا وَلَدِي.

اِجْتَهِدْ: فِعْلُ أَمْرٍ يُفِيدُ النُّصْحَ وَالإِرْشَادَ؛ إِذْ جَاءَ يحمل النُّصْحَ.

ومثل قول شوقي:

فَخُـذُوا الْـعِلْمَ عَـلَى أَعْلامِـهِ وَاطْلُبُوا الْـحِكْمَةَ عِـنْدَ الْـحُكَمَاءِ

٥ - التهديد والوعيد:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الأَمْرُ بِمَا يُخَالِفُ الْـوَاقِعَ، وَيَتَضَمَّنَ مَا يُخِيفُ.

مثلُ قولِ الأبِ لابنِهِ: اِلْعَبْ وَاترُكْ دُرُوسَكَ وَأَهْمِلْهَا - اِظْلِمْ كَمَا تَشَاءُ يَاظَالِمُ فَاللَّـهُ مُطَّلِعٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

اِلْعَبْ - اُتْرُكْ - أَهْمِلْ - اِظْلِمْ: كل منها فعل أمر يفيد التهديد والوعيد، إِذْ جَاءَ بِمَا يُخَالِفُ الْـوَاقِعَ، وَيَتَضَمَّنَ مَا يُخِيفُ.

ومثل قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فصلت: ٤٠].

٦ - التعجيز:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الأَمْرُ مُشْتَمِلًا عَلَى الْـمُسْتَحِيلِ والْـمُحَالِ، مِمَّا يَصْعُبُ عَلَى الْـمُخَاطَبِ عَمَلُهُ.

مثل: اِمْشِ عَلَى الْـحَائِطِ - أَنْقُلِ الأَهْرَامَاتِ مِنَ الْـجِيزَةِ إِلَى مَدِينَةِ نَصْرٍ.

ومثل قول الله: ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النمل: ٦٤].

ومثل قوله: ﴿ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٠].

وقوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣].

وقول الشاعر:

أروني بخيلا طال عمرا ببخله   وهاتوا كريما مات من كثرة البذل

٧ - التمني:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الأَمْرُ مُوَجَّهًا لِغَيْرِ الْـعَاقِلِ.

مثل قولك: تَكَلَّمِي يا نَخْلَةُ - اِشْهَدِي يَا مِنْضَدَةُ أَنِّي شَرَحْتُ الدَّرْسَ.

تَكَلَّمي - اِشْهَدِي: كل منهما فعل أمر يفيد التمني؛ إِذْ جَاءَ الأَمْرُ مُوَجَّهًا لِغَيْرِ الْـعَاقِلِ.

ومثل قول الشاعر:

يَا دَارَ عَبْلَةَ، بالْـجَوَاءِ، تَكَلَّمِي   وَعِمِي صَبَاحًا، دَارَ عَبْلَةَ، وَاسْلَمِي

٨ - الذمُّ وَالتَّحْقِيرُ:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الأَمْرُ مُشْتَمِلًا عَلَى استهزاء وسُخْرِيةٍ.

مثل قولك: قِفْ مَكَانَكَ فَلَسْتَ أَهْلًا لِلْمَجْدِ .

ومثل قول الله عزّ وَجَلّ: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٣]، وذلك في قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو يخاطبُ السَّحَرَةَ، أي أن السِّحْرَ مقابلُ الْـمُعْجِزَةِ حقير.

وتتضح الأغراضُ البلاغيةُ للأَمْرِ من خلال معرفة الْـجَوِّ النفسي المسيطر على الْـمَشاعر ومن السياق والقرائن التي تحيط به.



النَّهْيُ

لِلنَّهْيِ صُورَةٌ وَاحِدَةٌ، وهي المضارع المسبوق بـ (لا) الناهية.

مثل: لا تَمْدَحْ أَحَدًا فِي وَجْهِهِ .

عَنْ وَاثِلَةَ عَنْ أَبِي مَرْثَدٍ الْـغَنَوِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْـقُبُورِ وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا**» رواه مسلم.

الفائدة الحقيقية للنهي:

هُوَ طلب الكف عن شيء على وجه الإلزام والاستعلاء .

مثل قول الله: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ [القلم: ١٠] .

وقوله: ﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ [الحجرات: ١١].

والنهي الحقيقي: لا بَلاغَةَ فِيهِ، وإنما قَصْدُهُ مُجَرَّدُ النَّهْيِ وَالْـكَفِّ وَالْـمَنْعِ.

الْفَائِدَةُ الْبَلاغِيَّةُ لِلنَّهْيِ:

يَخْرُجُ النَّهْيُ عَنْ مَعْنَاهُ الْـحَقِيقي؛ لِيثِيرَ الانتِباهَ، وَيُوقِظَ الذِّهْنَ، وَيُعْمِلَ الْـعَقْلَ، وَيَأْخُذَ الْـمُتَلَقِّي إِلَى مَا وَرَاء الظَّاهِرِ، وَيُمْتِعَ النَّفْسَ بالْـمُشَارَكَةِ الْـوِجْدَانِيَّةِ بَيْنَ الْـمُتَكَلِّم وَالسَّامِعِ أَوِ الْـمُتَلَقِّي لِيُفِيدَ فَوَائِدَ بَلاغيةً، وهي نفسها الفَوَائد البلاغية لفعل الأمر التي سبقت مع تغيير الأمر (افعل) إلى صيغة النهي (لاتفعل)، وهذه الأغراض هي:

١ - الدعاء:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْى مِنَ الأَقَلِ إِلَى اللَّـهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

مثل قوله: ﴿ **رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ** ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿ **لَا تُؤَاخِذْنَآ** ﴾: أسلوب نهى للدعاء، والأحسن أن نقول: أسلوب دعاءٍ؛ إذ جاء النَّهْيُ مِنَ الأقلِ إلى الله. وكذلك ﴿ **وَلَا تَحْمِلْ** ﴾، ﴿ **وَلَا تُحَمِّلْنَا** ﴾.

٢ - الرجاء:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْيُ مِنَ الأَقَلِ إِلَى الأَعْلَى.

مثل قولك للمعلم: لا تُسْرِعْ فِى الشَّرْحِ - لا تَغْضَبْ يَا أَبِى.

لا تُسْرِعْ - لا تَغْضَبْ: كل منهما نَهْيٌ يفيد الرجاء، إذ جَاءَ النَّهْيُ مِنَ الأقلِ إلى الأعلى، وهو المعلم - الأب.

ومثل: (لا تُهْمِلْ شَعْبَكَ يَا سِيَادَةَ الرَّئِيسِ).

٣ - الالتماس:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْيُ مِنْ شَخْصٍ إِلَى شَخْصٍ مُسَاوٍ لَهُ فِى الْـمَكَانَةِ وَالْـمُسْتَوَى. أَوْ بَيْنَ شَخْصَيْنِ مُتَسَاوِيَيْنِ فِى الدَّرَجَةِ وَالْـمَنْزِلَةِ.

مثل قَوْلِكَ لِصَدِيقِكَ: لا تَتَكَلَّمْ أَثْنَاء كَلام الأُسْتَاذِ يَا طَارِقُ.

لا تَتَكَلَّمْ: أسلوب نهي يفيد الالتماس؛ إِذْ جَاءَ النهى بَيْنَ شَخْصَيْنِ مُتَسَاوِيَيْنِ فِى الدَّرَجَةِ وَالْـمَنْزِلَةِ وَالْـمَكَانَةِ.

٤ - النصح والإرشاد:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْيُ يَشْمَلُ نُصْحًا وَإِرشادًا.

مثل قولِ الأَبِ لابنِهِ: لا تُهْمِلْ دِرَاسَتِكَ يَا وَلَدِي.

لا تُهْمِلْ: أسلوبُ نَهْيٍ يُفِيدُ النُّصْحَ وَالإِرْشَادَ؛ إِذْ جَاءَ يحمل النَّصِيحَةَ.

ومثل قول الشافعي:

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلا تُجِبْهُ فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ

٥ - التهديد والوعيد:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْيُ بِمَا يُخَالِفُ الْوَاقِعَ، وَيَتَضَمَّنَ مَا يُخِيفُ.

مثلُ قولِ الأبِ لابِنِهِ: لا تُذَاكِرْ ولا تَحْفَظْ - لا تُصَلِّ ولا تَأْخُذْ دَوَاءَكَ.

لا تُذَاكِرْ - لا تَحْفَظْ - لا تُصَلِّ - لا تَأْخُذْ: كل منها نَهْيٌ يفيد التهديد والوعيد؛ إِذْ جَاءَ بِمَا يُخَالِفُ الْوَاقِعَ، وَيَتَضَمَّنَ مَا يُخِيفُ.

٦ - التَّعْجِيز:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْيُ مُشْتَمِلًا عَلَى الْمُسْتَحِيلِ وَالْمُحَالِ، مِمَّا يَصْعُبُ عَلَى الْمُخَاطَبِ عَمَلُهُ. مثل:

- لا تَتَنَفَّسْ يَوْمَيْنِ
- لا تَشْرَبْ مَاءً عِشْرِينَ يَوْمًا.

٧ - التمني:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْيُ مُوَجَّهًا لِغَيْرِ الْعَاقِلِ.

مثل قولك: لا تُمْطِرِي يَا سَمَاءُ - لا تَتَحَرَّكِي يَا مِنْضَدَةُ.

لا تُمْطِرِي - لا تَتَحَرَّكِي: كل منهما نهى يفيد التمنى؛ إِذْ جَاءَ الأَمْرُ مُوَجَّهًا لِغَيْرِ الْعَاقِلِ. ومثل قول الخنساء:

أَعَيْنَيَّ جُودَا وَلا تَجْمُدَا أَلا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى

٨ - الذم والتحقير:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْيُ مُشْتَمِلًا عَلَى استهزاء وسُخْرِيةٍ .

مثل قولك: لا تَصْعَدْ إلى الْـمَجْدِ فَلَسْتَ أَهْلًا لَهُ.

لا تَصْعَدْ: أسلوبُ نَهْيٍ يُفِيدُ التَّحْقِيرَ وَالذَّمَّ.

وتتضح الأغراضُ البلاغيةُ للنَّهْيِ من خلال معرفةِ الْـجَوِّ النفسي المسيطر على الْـمَشاعر ومن السياق والقرائن التي تحيط به.

لا يقتصر النهي على هذه الأغراض؛ بل إن هناك أغراضًا أخرى تُفْهَمُ من سياق الكلام.



الاستفهام

تعريفه:

هو من أنواع الإنشاء الطّلبي، وَالأَصْلُ فِيهِ طلَبُ الإِفْهامِ وَالاسْتِفْسَارِ لِمَعْرِفَةِ شيءٍ مجهولٍ لَدَى الْـمُستَفْهِم أَوِ السَّائِلِ.

أدوات الاستفهام:

الهمزة – مَا – هَلْ – مَنْ – مَتَي – أَيْنَ – كَيْفَ – كَمْ – أَيّ – أَيَّانَ – أَنَّى.

الفائدة الحقيقية للاستفهام:

هى الاستفسار عن شيء مجهول للسائل، ويحتاج لجواب، مثل: هل ظهرت النتيجة أم لا ؟

والاستفهام الحقيقي لا بلاغة فيه.

ومثل: مَتَى قَامَتِ الْـحَرْبُ العالميّة الثانية؟

الْفَوَائدُ الْبَلاغِيَّةُ للاستفهام:

يخرج الاستفهام عن أصل دلالته إلى معانٍ أخرى، كثيرًا ما يخرج الاستفهام عن إرادة طلب الإفْهامِ والاستفسار إلى معانٍ أخرى أشار إليها به، ويُسْتَدَلُّ عَلَيْهَا مِنْ قرائِنِ الحال أو قرائن المقال، إذْ يَسْتَغْنِي الْـبُلَغاء بعبارات الاستفهام عن ذكر الألفاظ الدّالة دلالةً صَريحةً على مَا يُريدون التَّعْبيرَ عَنْهُ منَ المعَاني، وبلاغةُ الدّلالة على هذه المعاني بأسْلُوبِ الاسْتفهام آتيةٌ من التعبير عنها بصورة غير مباشرة وهيَ دلالاتٌ تُتَصيَّدُ بالذكاء.

وقد أحصى البلاغيّون معانٍ كثيرة خرج الاستفهام فيها عن حقيقته، إذْ تَنَبَّهُوا

إليها لدى دراسة مُختَلِف النصوص، وهي ما يلي:

١ - الإِنكار. ٢ - التوبيخ.
٣ - التقرير. ٤ - التعجّب.
٥ - العتاب. ٦ - التذكير.
٧ - الافتخار. ٨ - التعظيم.
٩ - التسوية. ١٠ - الأمر.
١١ - التنبيه. ١٢ - الترغيب.
١٣ - النهي. ١٤ - الدعاء.
١٥ - الاسترشاد. ١٦ - التَّمنّي.
١٧ - الترجّي. ١٨ - الاستبطاء.
١٩ - العرض. ٢٠ - التحضيض.
٢١ - التجاهل. ٢٢ - المدح.
٢٣ - الذّم. ٢٤ - الاكتفاء.
٢٥ - الاستبعاد. ٢٦ - التهكّم والسخرية.
٢٧ - التهديد والوعيد. ٢٨ - التحقير والاستهانة.
٢٩ - التهويل والتخويف...، إلخ.

ومن طبيعة الإِنسان إذا لم يُرِد التصريح بالمعنى الذي يَقْصِده، فإنّه يتّخذ للإِشعار به أسلوبًا غير مباشر.

ومن الأساليب الذكيّة غير المباشرة أن يحاول جعل المخاطَب هو الذي يعبّر بنفسه عن المعنى، أو يُدْرِكُه بنفسه ولو لم يُعبِّر عنه بكلامه.

والطريق السهل للوصول إلى هذه الغاية، أن يطرح على المخاطب جملةً استفهاميَّةً موجّهةً توجيهًا خاصًّا، إذ يحيطها بقرائن تجعله يدرك المعنى بنفسه، سواء عبّر عنه بالجواب أو لم يُعَبِّر.

وَلَمَّا كانت المعاني التي يمكن الإشارة إليها من طرفٍ خفيّ كثيرة جدًّا، ويُمْكنُ استدعاؤها إلى الذهن عن طريق طرح السُّؤال الذي لا يُصَرَّحُ فيه بالمراد، كان من الأمر الطبيعيّ في الكلام أن يُصَاغ فيه جُمَلٌ استفهاميّة محفوفةٌ بقرائن الحال أو المقال، بغيَةَ استدراج المخاطَب لإدراكها، وقد يُصَرِّح في جوابه بما أدرك من معنى، أو يكتفي بإدراك المراد، ويعلم أن السؤال قد طُرِح لمجرّد إفهامه الغرض من السؤال.

والمحققون من علماء البلاغة يَرَوْنَ أَنَّ معنى الاستفهام يبقَى ولكن ينضم إليه ما يُستفاد منه من المعاني التي يُدَلُّ بِهِ عليها.

ويخرج الاستفهام عن أغراضه الحقيقية إلى أغراض بلاغية، منها ما يلي:

١ – التشويق:

إذا كان الاستفهامُ يَشْمَلُ مَا يُثِيرُ الانتباهَ ويَدْعُو إلى التشويق.

مثل قول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ ﴾ [الصف: ١٠].

أي: ارغَبُوا في هَذِهِ التِّجَارَةِ العظيمة الرابحة.

ومثل قول الله: ﴿ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝١٥ ﴾ [آل عمران: ١٥].

وعندما نتأمل قول الله: ﴿ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡ ﴾ قد يقول قائل: ألم

يَكن من المنطق أن يخبرنا الله مباشرةً بما يريد أن يخبرُنا به، بدلًا من أن يسألنا: أيخبرنا بهذا الخير، أم لا؟

ونقول: أنت لم تلتفتْ إلَى التشويق بالأسلوب الجميل، وحنان الله على خلقه. إنه سبحانه وتعالى يقول لنا: ألا تريدون أن أقول لكم على أشياء تفضل تلك الأشياء التي تسيركم في الدنيا. فكأن الله سبحانه وتعالى قد نَبَّهَ مَنْ لَمْ ينتبه. ولم ينتظر الله أن نقول له: قل لنا يارب.

لا، إنه يقول لنا دون طلب منا، ويقال عن هذا الأسلوب في اللغة إنه (استفهام للتقرير)، فالإنسان حين يسمع: ﴿ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾ فالذهن ينشغل، فإن لم يسمع النبأ، فلسوف يظل الذهن مشغولًا بالنبأ، ويأتي الجواب على اشتياق فيتمكن من نفس المؤمن.

٢ – النفي:

إذا أمكن وضع أداة نفي مكان أداة الاستفهام، مثل قول الله: ﴿ **قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ** ﴿٥٦﴾ ﴾ [الحجر: ٥٦].

هذا استفهام إنكار من الله سبحانه وتعالى، وهو بمعنى النفي، أي: لا أحد يقنط من رحمة ربه.

﴿ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ : التائهون عن الحق.

وهذه الجملة قالها إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – لَمَّا جاءته الملائكة في صورة أضياف يريدون إهلاك قوم لوط، وكان إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – كريمًا مِضْيافًا، فلما جاءه هؤلاء الرجال بادر إلى ضيافتهم، وجاء بعجل سمين، وقرّبه إليهم، لكنهم لم يأكلوا؛ لأنهم ملائكة، والملائكة لا يأكلون؛ فإبراهيم خاف أنهم أعداء، لكنهم طمأنوه، وأخبروه بمهمتهم، وأنهم جاءوا لإهلاك هذه القرية.

مثل قول الله: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩] ؟.

وقد يدل الاستفهام على الإِنْكار مع النفى، ويُسَمَّى استفهامًا إنكاريًّا، ويُرادُ منه النفي، مع الإنكار، مثل قول الله: ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] أي: لاَ يُهْلَكُ إِهلاكًا عامًّا شاملًا بعقوبةٍ دُنيويَّةٍ معجَّلةٍ إلاَّ الْـقَوْمُ الفاسِقُون.

ومثل قول الله: ﴿ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [الروم: ٢٩].

أي: لاَ أحد يحكم بالهداية لِمَنْ حَكَم الله عليهم بالضّلال، ومَا لهم من ناصرين ينصرونهم فيدفَعُون عنْهُمْ عذَابَ الله. فجاء في هذه الآية عطف الجملة المنفيّة على الاستفهام الإِنكاري، إذ معناه النفيُ.

٣ - الفخر:

إذا كان الاستفهام يشمل الأمجاد والمفاخر بضمير كالمتكلم، مثل: أنا - نحن، مثل قول الشاعر:

نَحْـنُ هَـلْ تَـدْرُونَ مَنْ نَحْنُ هُنَا؟ نَحْـــنُ صُـــنَّاعُ الْـغَـــدِ الْـمُبْتَـــسِم

٤ - التعجب:

إذا كان الاستفهام عما يثير الإعجاب والدهشة.

مثل قول الله: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨].

الاستفهام في هذه الآية استِفْهَامٌ تَعْجيبيٌّ فيه معنَى التَّوْبيخ والتّلويم والتَّأْنِيب والتَّقْريع، فَالْـمَعْنَى أَنَّ كُفْرَكُمْ باللَّـهِ مَعَ كَوْنِكُمْ كُنْتُمْ أَمْواتًا فأَحْيَاكُمْ ولم تُحْيُوا أنتم أَنْفُسَكُمْ، أمْرٌ ينْبَغِي أن تَعْجبُوا منه قبل غيركم، وأمْرٌ يتعجّبُ منه كلُّ العقلاء

من أهل الرشد. فحالُكم يثير التعجُّب والاستغراب، كيف يصْدُرُ من ذوي عقول وأفكار؟!.

وقول الله لعلماء بني إسرائيل: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ٤٤].

فالاستفهامُ في ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ الذي يخاطب اللّـهُ به علماء بني إسرائيل استفهامٌ فيه معنى التَّعْجُّب مِنْ حالِهِمْ مع التوبيخ والتَّلْويم والتقريع، إذْ يأمُرونَ الناسَ منْ عَامَّةِ بني إسرائيل بالبرّ (أي: بالتَّوسُّعِ في أعْمالِ الخير فوْقَ الواجبات) وأنْ يتركوا مَعَ ذَلك أنْفُسَهم فلا يؤدّوا ما فرض الله عليهم وأَخَذَ عليهم به الْـعَهْدَ من الإيمان بالرسول الخاتم واتّباعه، وهم يتلون كتاب التوراة.

وقول الله عز وجل: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النمل: ٢٠].

اسْتِفْهَامٌ تَعَجُّبِيٌّ، إذْ تعجَّب سليمانُ عليه السَّلام مِنْ عدم رؤية الْـهُدْهُدَ مع أَنواع الطَّيْرِ وليْسَ من عادته أن يتخلَّف.

وقول الشاعر:

مَـالِي أَرَاكُـمْ تُنْكِـرُون مَكَانَتِـي؟! ... الـشَّمْسُ لاَ تَخْفَـى مـعَ الإشْرَاقِ

قولُ إحْدى نِسَاءِ الْـعَرب تَشْكُو ابْنَها، وتُظْهِرُ التَّعَجُّبَ مِنْ عَمَلِهِ:

أَنْـشَا يُمَـزِّقُ أَثْـوابِي يُؤَدِّبُنِـي ... أَبَعْـدَ شَـيْبِيَ يَبْغِـي عِـنْدِيَ الأَدَبا؟!

أي: إنّ تأديبَ مَنْ شاب من العجَبِ الْـعُجَاب.

مثل قول الشاعر:

مَـالِي أُكَـتِّمُ حُـبًّا قَـدْ بَرَى جَسَدِي ... وَتَدَّعِـي حُـبَّ سَـيْفِ الدَّوْلَةِ الأُمَمُ

٥ - التعظيم:

إذا كان الاستفهام يشمل التمجيد والإشارة، مثل قول الشاعر:

أَيْنَ الأُلَى سَجَّلُوا فِي الصَّخْرِ سِيرَتَهُمْ وَصَغَّرُوا كُلَّ ذِي مُلْكٍ وَسُلْطَانِ

تندفع نفس المتكلّم حين يَرَى شيئًا عظيمًا فخمًا للتعبير عن عظمته وفخامته، بأسلوب التَّعَجُّبِ أحيانًا، وبأسلوب الاستفهام أحيانًا أُخْرَى، فإذا رَأَى قَصْرًا عَظِيمًا فَخْمًا، قَالَ:

مَا هَذَا الْقَصْرُ؟.

كَيْفَ بُنِي هذا القَصْر؟.

مَنْ بَنَى هذا الْقَصْرَ؟.

وإذا سمع شاعرًا مُبْدعًا، قال:

ما هذا الشاعر؟.

مِنْ أَيْنَ لَهُ بهذا الشعر البديع؟

وهو لا يريد الإجابة على استفهاماته، إنّما يريد التعبير عن عظمة ما رأى، أَوْ سَمع.

قول الشاعر:

ومَنْ الّذي تُرْضى سَجَايَاهُ كُلُّها كَفَى الْمَرْءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ؟

أي: إنّ الذي تُرْضَى سجاياه كلُّها رَجُلٌ عظيم.

وقول المتنبّي يمدح كافورًا:

وَمَنْ مِثْلُ كَافُورٍ إِذَا الْخَيْلُ أحْجَمَتْ؟ وَكَانَ قَلِيلًا مَنْ يَقُولُ لَهَا اقْدُمِي

أي: هو عظيم قليل النظير في الحثّ على وُرُودِ المعارك، فأورد الاستفهام والغرض منه التعظيم، والقرينة المْدحُ.

وقول الشاعر:

أَضَاعُوني وَأَيَّ فَتًى أَضَاعُوا ؟ لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسَدادِ ثَغْرِ

وأَيَّ فَتًى أَضَاعُوا ؟: أي أضاعوا فَتًى عظيمًا، فالشاعر يعظم من أمْرِ شجاعته.

الكريهة: الشدّة المكروهة في الحرب.

وسَدَادِ ثَغْر: أي: وَسَدِّ ثَغْرَةٍ مِنْ ثُغُورِ البلادِ لِحَمايتها من الْعَدُوّ.

٦ – التقرير:

إذا كان الاستفهام عن جُمْلَةً مَنْفِيَّةً تَحْمِلُ الْمُخَاطَبَ على الإقرار.

مثل قول الله: ﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١** ﴾ [الشرح: ١]؟

بَلَى، شَرَحْتَ صدْرِي.

ومثل: أَلَمْ تَنْجَحْ فِي الْعَامِ الْمَاضِي ؟ بَلَى، نَجَحْتُ.

ومثل قول الله: ﴿ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨** ﴾ [الضحى: ٦ – ٨]؟

بَلَى، وَجَدني يَتِيمًا فآوَى.

وقول الله عز وجل للمكذّبين بيوم الدّين: ﴿ **أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ۝٢٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٤** ﴾ [المرسلات: ٢٠ – ٢٤]؟

بَلَى، خَلَقْتَنَا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ .

وقول الله: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦]؟
بَلَى، اللَّـهُ كافٍ عَبْدِهُ.

وقول الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فَالاستفهامُ في الشواهد السابقة مُسْتَعْمَلٌ ليجعل المخاطب يُقِرُّ ويعترف بمُحْتوى السؤال.

٧ – التوبيخ:

إذا كان الاستفهام يفيد التوبيخ والتحقير.

مثل قول الله: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥]. الاستفهام يفيد التوبيخ.

ومثل قول الله: ﴿ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٢]، الاستفهام يفيد التوبيخ.

وقول الله: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٢].

﴿ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ﴾: استفهام للتوبيخ لهم.

٨ – السخرية والتهكم:

ويستعمَلُ الاستفهام عند إرادة التهكُّم أو السخرية.

ومثل حديث قوم شعيب عليه الصلاة والسلام له، كما حكى الله: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ [هود: ٨٧].

وقول إبراهيم عليه السلام لآلهة قومه من الأوثان كما حكى الله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الصافات: ٩١- ٩٥].

﴿ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴾ ؟: استفهامٌ تهكُّميٌّ سَاخِر.

وكذلك: ﴿ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴾ ؟

ومثل قول أبي تمام عن المنجمين عندما قرَّرَ المعتصم - الخليفة العباسي - أن ينتقم لشرف امرأة مسلمة، رفع عِلْجٌ من عُلُوجِ الرُّومِ ثَوْبَهَا عَنْ جَسَدِهَا، فَقَالَتْ: وامعتصماه! مستغيثةً بالمعتصم، وقد استدعى المعتصم المنجمين، ليروا: متى يستطيع أن يفتح عمّوريّة - بَلَد ذلك العِلْجِ ؟ فقالوا: لن تفتح قبل نُضْجِ التِّينِ وَالْـعِنَبِ!

بَيْدَ أن المعتصمَ ضَرَبَ بكلامِهِم عُرْضَ الحائطِ، فأعدَّ جيشًا، وتوجّه لعمورية في سنة ثلاث وعشرين ومائتين للهجرة، فَفَتَحَهَا، وحَرَّقَهَا، وسَجَّلَ هذه الواقعةَ العظيمةَ الشاعر العباسيّ أبو تمام، ثم.. تَحَدَّثَ عَنِ الْـمُنَجِّمِينَ، فَسَخِرَ من علمهم، فقال:

أَيـنَ الـرِّوَايَةُ بَـلْ أَيـنَ النُّجُومُ وَمَا ... صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيْهَا وَمِنْ كَذِبِ

٩ - الحسرة والحزن:

إذا كان الاستفهام يفيد الندم والحزن على شيءٍ ضَاعَ.

مثل قول الشاعر:

أَيْـنَ أَيَّـامُ لَـذَّتِي وَشَـبَابِي ؟ ... أَتُـرَاهَا بَعْـدَ الـذَّهَابِ؟

يمكن معرفةُ أغراضِ الاستفهامِ البلاغيةِ من خلال السياقِ وحال المخاطب والْـجَوّ الشعوري المسيطر على الموقف.

وتتعدد الصيغُ الخبريةُ، وكُلُّهَا تُعْرَضُ بأسلوبٍ جميلٍ، فَمَرَّةً تأتي بسِيَاقِ الأمرِ، وأُخْرَى فِي مَعْرِضِ النَّهْيِ وثالثة مسبوقة بجملة استفهامية.

١٠ - العتاب:

إذا كان الاستفهام يشملُ اللومَ والْعِتَابَ، مثل قول الله: ﴿ ۞ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ١٦** ﴾ [الحديد: ١٦].

﴿ أَلَمْ يَأْنِ ﴾؟: أي: أَلَمْ يَحِنِ الْـوَقْتُ؟ يُقَالُ لُغَةً: أَنَى يَأْنِي أَنْيًا وَإِنًى وَأَنَاةً، إذا حَانَ وَقَرُبَ.

الاستفهام فِي هذا النصِّ يتضَمَّن عِتَابًا لطائفَةٍ مِنَ الْـمُؤْمِنينَ مرَّتْ عَلَيْهِمْ بعد إيمانهم مُدَّةٌ كافيةٌ، كَانَ يَنْبَغي أن يَرتَقُوا فيها من دَرَجَةِ إيمانِ الْـوَجِلِ إلى دَرَجَةِ إيمانِ الخاشع.

الوجَلُ: هو الخوف، والخوفُ يرافقُه قلَقٌ واضطرابٌ فِي القلب.

الخشوع: هو الخضوع مع سُكُونِ القلب، وهو درجةٌ فِي الإيمان أعلَى من درجةِ الوجَلِ. وفوقهما درجة الطُّمَأْنينة.

وقول الله عزّ وجلّ خطابًا لرسوله محمّد ﷺ بشأْنِ إِذْنِهِ لطائفةٍ من المنافقين عن الخروج معه إلى غزوة تبوك: ﴿ **عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ٤٣** ﴾ [التوبة: ٤٣].

فقول الله له: ﴿ **لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ** ﴾؟ من أَلْطَفِ صُوَرِ العتاب.

١١ - التهويل والتخويف:

وذلك إذا كان الْـمُسْتَفْهَمُ شيئًا مُخِيفًا، مثل قول الله: ﴿ **ٱلْحَآقَّةُ ١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ٣** ﴾ [الحاقة: ١ - ٣].

فالاستفهام هنا للتخويف والتهويل.

وكذلك قول الله: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ ﴾ [القارعة: ١ - ٣].

١٢ - التهديد والوعيد:

وقد يُهدِّد المتكلّم باستخدام أسلوب الاستفهام، وقَدْ يَتوعَّدُ به.

كأن يقول القاضي للمتَّهَمِين الّذين لم يَثْبُتْ جُرْمُهُمْ: ألَمْ تعلَمُوا أَنَّا قَطَعْنَا أَيْدِي الّذِينَ ثبتَتْ عليهم جريمة السّرقة؟.

ألَمْ تَعْلَموا أنّنا قتلْنَا من ثبتت عليهم جريمة القتل عمدًا وعُدْوانًا ؟

مثل قول الله عزّ وجلّ: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ۝ ﴾ [المرسلات: ١٦، ١٧] .

أي: كما فعلنا بالمجرمين الأولين من مكذّبي القرون الأولى سنفعل بأمثالهم من الأمم اللاّحقة.

وقول الله: ﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۝ ﴾ [يونس: ١٠٢].

١٣ - الإنكار:

مثل قول الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝ ﴾ [الأعراف: ١٩١، ١٩٢].

هذا استفهام، معناه: الإنكار.

﴿ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا ﴾ أي: هذا الشرك باطل؛ بدليل أن هذه المعبودات من دون الله لا تخلق شيئًا، فهي عاجزة؛ لأن الذي يستحق العبادة هو الخالق، فالذي يقدر على الخلق هو الذي يستحق العبادة، أما الذي لا يقدر على الخلق فهذا لا يستحق العبادة.

وهكذا يكون الاستفهام بأنواعه أحد الأساليب البلاغية، وتتنوع أغراضه البلاغية، وهى أكبر من أن توضع فى قوالب جامدة، والحقيقة أن الأغراض البلاغية للاستفهام متروكة لِذَوْقِ الْـمُتَلَقِّى، وليس شرطًا أن تتفق هذه الأذواق.

❖ ❖ ❖

التَّمَنِّي

تعريفه:

هو طلب أمْرٍ محبوبٍ أو مرغوبٍ فيه، يصعب تحقيقه لاسْتحالَتِهِ في تصوُّرِ الْـمُتَمَنِّى، وقد يكون ممكنًا، وله أداة أصلية، وهى (ليت).

وتستعمل له أدوات أخرى، وهي: (هل - لو - لعل - عسي).

الفائدة الحقيقية للتمني:

هى طلب شيء محبوب. لكنه مستحيل بعيد المنال، كما تمنى الشاعر أن تدنُوَ له الكواكب؛ لينظم منها عقود مدح لمدوحه فقال:

لَـيْتَ الكـوَاكِبَ تُدْنُـو لِي فَأَنْظِمَها   عُقُـودَ مَـدْحٍ فَـمَا أَرْضَى لَكُمْ كَلِمِي

فالأداة المستعملة في هذا التمنّي هى (ليت)، والتّمني في كلامه ظاهر.

وتستعمل له أدوات أخرى، وهي: (هل - لو - لعل - عسي).

الفائدة البلاغية للتمني:

تتحقق الفائدة البلاغية للتمني باستخدام الأدوات غير الأصلية، مثل:

(هل - لو - عسى - لعل).

هل - لعل:

مثل قول الله على لسان الكافرين: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٣].

جاءت (هل) للتمني؛ لأن الأمر لا يمكن حدوثه، غير أن شدة التعلق بالأمل والحرص عليه جعل المتمنى يستخدم (هل) متوهما إمكانية الحدوث، والمقصود على لسان الكافر.

ومثل قول الشاعر:

أَسِرْبَ الْـقَطَـا هَـلْ مَـنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ؟ لَعَـلِّي إِلَى مَـنْ قَـدْ هَـوِيْتُ أَطِـيرُ

ويطلب الشاعر هنا من جماعة الطيور أن تعيره جناحها؛ ليذهب إلى من يحب، وهو أمر مستحيلٌ فى الواقع. والْـقَطَا هو الْـيَمامُ (طائر أصغر من الحمام) جاء فى الحديث.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ بَنَى لله مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ لِبَيْضِهَا بَنَى اللَّـهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْـجَنَّةِ**» رواه أحمد.

المفحص: الموضع الذى تجلس فيه القطاة وهى اليمامة وتبيض.

القَطَاة: الْـيَمَامَةُ، واحدته «قطاة» وهو نوع من اليمام يفضِّل الحياة في الصحراء، ويطير جماعات، ويقطع مسافات شاسعات.

واستعمل الشاعر أداتين لِلتَّمَنِّي في البيت السابق (هل - لعل)، وهاتان الأداتان ليستا للتمنى أَصْلًا، إلاَّ أنّ الشاعر استعملهما مُعَبِّرًا عن التمنى.

وقول الله: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾** ﴾ [القصص: ٣٨].

وهذه الأداة ليست للتمنى أَصْلًا، إلاَّ أنَّها اسْتُعْمِلَتْ للتمنى.

لو:

هو حرف امتناع الجواب بسبب امتناع الشرط، والمراد أن الجواب لم يحدث لأن الشرط لم يتحقق، ويستخدمها الأديب لبيان صعوبة المطلوب.

مثل قول الله عز وجل على لسان الكافرين: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٧].

قال جرير:

وَلَّى الشَّبَابُ حَمِيدَةً أَيَّامُهُ ... لَوْ كَانَ ذَلِكَ يُشْتَرَى أَوْ يَرْجِعُ

والأداة المستعملة في هذا التمنّي حرفُ (لو) وتمنَّى جرير أن تعود أيام الشباب، وَيُشْتَرَى هذا الشبابُ بالمال ليشتريَه، أَوْ أنْ يعود مَرَّةً أُخْرَى.

ودلَّ على هذا التمنّي قول الله - سبحانه وتعالى - على لسان الكافرين: ﴿ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٩٩- ١٠٢].

والأداة المستعملة في هذا التَّمنِّي حرف (لو) إذْ لدى هؤلاء بعض أمَلٍ ضعيفٍ باستجابة طلبهم، أو أرادوا إظهاره في صورة الممكن عزيز المنال.

عسى:

وتَرجَّى الشاعر أن يُفرّج الله عنه الكرْبَ النّازلَ عَلَيْهِ، فقال:

عَسَى الكَرْبُ الَّذِي أمْسَيْتُ فِيهِ ... يَكُونُ وَرَاءَه فَرَجٌ قَرِيبُ

هذا الكلام من قسم الإنشاءِ الطَّلَبِي، وهو من نوع الترجّي؛ لأنّ الفرج أمْرٌ مترقّبٌ مطموع فيه. وأداة الترجّي فيه كلمة «عَسَى» .

ملاحظة:

كل من: (لعل - عسى) أداتان للرجاء، وهو طَلَبُ أَمْرٍ مَحْبُوبٍ يُمْكِنُ حُصُولُهُ. **مثل**: (أَجْتَهِدُ فِي الدِّرَاسَةِ لَعَلَّ اللَّـهَ يَكْتُبُ لِي النَّجَاحَ - عَسَى اللَّـهُ أَنْ يَأْتِي بالنَّصْرِ).

❁ ❁ ❁

النداء

تعريفه:

هُوَ جَهْرُ الصَّوْتِ بدَعْوَةِ أَحَدٍ ليحضر؛ ولذلك كانت حروف النداء نائبة مناب «أدعو» .

أو هو دعوة المخاطب وطَلَبُ الإقبالِ منه بحرف من حروف النداء أو ما يَنُوبُ مَنابَ (أدعو).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قَضَى التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْـمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى**» رواه البخاري.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْـمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَأَجِبْ**». رواه مسلم.

وأدوات النداء ثمان: أَ - أَيْ - يَا - آ - آي - أَيَا - هَيَا - وَا .

فـ (أَ - أَيْ) لنِدَاء القريب.

و(أَيَا - هَيَا - آ - يا) لِنِدَاءِ البعيد.

و(وَا) للنّدْبة، وهيَ الَّتي يُنَادَى بها المندوبُ الْـمُتَفجَّعُ عليه، أو المتفجع منه.

وكثيرًا ما تُحذَفُ أداة النداء ولا سيما في نداء الله ودُعائه، فتكون مقدَّرة، مثل:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وقوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا ﴾ [نوح: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

والأداةُ التي تُقدَّرُ عند الحذف هي: (يا) فيما ذكر النحاة.

إنَّ حَذْفَ أَدَاةِ النِّدَاءِ لَهُ دلالةٌ في نفس البليغ، وهي أنَّ الـمُنَادَى هو في أَقْرَبُ منازل القرب من المنادِي،حتَّى لَمْ يَحْتَجْ إلى ذِكْرِ أَدَاةِ نداءٍ لَهُ لشدّةِ قُربِهِ، وهذا يَلِيقُ بمَقَامِ دُعاءِ الله تعالى، فإذا قال الدَّاعِي (يَاربّ) فهو يُعَبِّرُ بذكر أداة النداء عن شِدَّةِ حاجةِ نفسه لما يدعو به، أو يعبّر عن أَلَمِهِ أو اسْتَغَاثِتِهِ أو ضِيقِ صَدْرِهِ، أو نحو ذلك من المعاني.

لذلك نجد في القرآن أنّ كلَّ نِدَاءٍ فيه دُعَاءٌ للربّ قد حُذِفَتْ منه أداة النداء، باستثناء نِدَاءَيْنِ نَادَاهُما الرسُول ﷺ ، فقد ذكر فيهما أداةَ النداء (يا) تعبيرًا عن حالة نفسه الحزينة من أجل قومه الذين اتَّخَذوا القرْآن مهجورًا بعد أن بلَّغهم ما أُنْزِل عليه منه، وأسْمَعَهُمْ آياتِهِ، وأعادَهَا عليهم مَرَاتٍ ليفهموا دلالاتها فأصرُّوا على كُفْرهم وعنَادهم حتَّى رأى أنَّهُمْ لا يُؤْمِنُون مَهْمَا ذكَّرَهُمْ وأقنعهم وحذَّرَهُمْ وأَنْذَرَهُمْ.

قول الله: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٠].

فذكَر الرسول حرف النداء (يا) مع أنه يُنَادِي ربَّهُ الذي هو أقرب إليه من حبل الوريد، ليعبّر بمدّ صوته بأداة النداء عن حزنه منْ أجل قومه، وتلَهُّفِهِ لاستجابتهم، وحِرْصِه على نجاتِهِمْ من عذاب ربّهم في جهنم دار عذاب الكافرين يوم الدين.

وقوله: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٨].

أي: تَصَلَّبُوا على العناد والكفر، فَهُمْ لاَ يتحرَّكونَ حركة جديدةً يُشْعِرُون فيها باقترابهم من الإيمان، فعبّر بأداة النداء عن تلهُّفِهِ لإيمانِهِم ونجاتهم، وتوجُّعِ قلبه من أجلهم.

قال الزمخشري: «كثُر في القرآن النداء بـ(يا أيُّها) دون غيرها لأنَّ فيها أوجهًا من التأكيد، وأسبابًا من المبالغة، منها:

١ - ما في (يا) من التأكيد والتنبيه.

٢ - ما في (ها) من التنبيه.

٣ - وما في التدرّج من الإبهام في (أي) إلى التوضيح.

والْـمَقَامُ يُنَاسِبُ الْـمُبَالَغَةَ والتأكيدَ؛ لأنَّ كلَّ ما نَادَى اللَّـهُ لهُ عَبَادَهُ من أَوَامِرِهِ، ونواهِيه، وَعَظَائِهِ، وَزَوَاجِرِهِ، وَوَعْدِهِ، وَوَعِيدِهِ، ومن اقتصاصِ أخبارِ الأُمَمِ الماضيةِ، وغير ذلك مِمَّا أَنْطَقَ اللَّـهُ بِهِ كِتَابِهِ، أمورٌ عظامٌ، وخطوبٌ جسام، ومعانٍ واجبٌ عليهم أن يتيقظُوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، وهُمْ غافلون، فاقتضى الحال أن يُنَادَوْا بالآكد الأبلغ» .

ونلاحظ في خطاب الله لعباده في القرآن أنّه يُنزِّلُهُم مَنْزِلَة البعيدين عنه، فيناديهم بحرف النداء (يا) مع أنّه أقربُ إليهم من حبْلِ الوريد، مراعاةً لمقام الربوبيَّةِ الرفيع، في الأمر والنهي والتوجيه، إذْ هو سبحانه العليُّ الأعْلَى.

فجاء في النصوص القرآنية: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ﴾ ، ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ ، ﴿ يَٰيَحْيَىٰ ﴾ ، ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ ﴾، ﴿ يَٰدَاوُۥدُ ﴾، ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ ﴾، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ .

مثل قول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ۝٤ ﴾ [المزمل: ١ - ٤].

وافتتاح الكلام بالنداء إذ كان المخاطب واحدا ولم يكن بعيدا يدل على الاعتناء بما سيلقى إلى المخاطب من كلام.

والأصل في النداء أن يكون باسم المنادى العلم إذا كان معروفا عند المتكلم فلا يعدل من الاسم العلم إلى غيره من وصف أو إضافة إلا لغرض يقصده البلغاء من تعظيم وتكريم، مثل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ .

أو تلطف وتقرب مثل: يا بني ويا أبت، أو قصد تهكم، مثل قوله: ﴿ **وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ** ۝٦ ﴾ [الحجر: ٦] .

فإذا نُودِيَ المنادِي بوصْفِ هَيْئَتِهِ من لُبْسِهِ أو جَلْسَةٍ أو ضَجْعَةٍ كان المقصودُ فِي الغالبِ التلطُّفَ بِهِ وَالتَّحَبُّبَ إليه وَلِهَيْئَتِهِ، ومنه قول النبيِّ ﷺ لِعَلِيّ بْنِ أَبي طالبٍ، وقد وَجَدَهُ مُضْطَجَعًا فِي الْـمَسْجِدِ وَقَدْ عَلِقَ ترابُ المسجدِ بجنبِهِ «**قُمْ أَبَا تُرَابٍ**» وقوله لحذيفة بن اليمان يوم الخندق: «**قم يا نومان**» ، وقوله لعبد الرحمن بن صخر الدوسي، وقد رآه حاملا هِرَّةً صَغِيرَةً فِي كُمِّهِ «**يا أبا هريرة**» .

فنداء النبي بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ ، نداء تلطف ورفق ورحمة، ومثله قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾

نُودِيَ النَّبِيُّ ﷺ بوصفِهِ حالَةً خاصةً تَلَبَّسَ بها حين نزولِ السورة، وهي أنه لما رأى الملك بين السماء والأرض فرق من رؤيته فرجع إلى خديجة، فقال: «**دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي**، أو قال: **زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**» فَدَثِّرُونِي، على اختلاف الروايات.

والنداء من الإنشاء؛ لأنك تريد أن تنشئ شيئًا من عندك، فلو قُلْت: (يا محمد) فأنت تريد أن تنشئ إقبالًا عليك، فالنداء إذن طلبُ الإقبال عليك، إنك لا تنادى إلا البعيد عنك الذي تريد أن تستدنية منك .

فكيف تنادِي ربَّك تبارك وتعالى، وهو أقرب إليك من حبل الوريد؟ وكيف تناديه سبحانه وهو يسمعك حتى قبل أن تتكلم؟ فإذا كان إقباله عليك موجودًا في كل وقت، فما الغرض من النداء هنا ؟

نقول: الغرض من النداء: الدعاء.

ووَصْف الله النداء بأنه: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝ ﴾ [مريم: ٣]؛ لأنه ليس كنداء الخَلْق للخَلْق، يحتاج إلى رَفْع الصوت حتى يسمع، إنه نداء لله تبارك وتعالى الذي يستوي عنده السر والجهر، وهو القائل: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ ﴾ [الملك: ١٣] .

ومن أدب الدعاء أنْ ندعوَه سبحانه كما أمرنا: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وهو سبحانه ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: ٧] أي: وما هو أَخْفى من السر؛ لأنه سبحانه قبل أن يكون سِرًّا، علم أنه سيكون سرًّا.

وهو سبحانه ﴿ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الفرقان: ٦] لذلك، جعل الله سبحانه أحسن الدعاءِ الدعاءَ الخفي؛ لأن الإنسان قد يدعو ربه بشيء، إنْ سمعه غيره ربما استنقصه، فجعل الدعاء خَفيًّا بين العبد وربه حتى لا يُفتضحَ أمره عند الناس.

أما الله سبحانه فهو يحب الستر حتى على العاصين، وكذلك ليدعو العبد رَبَّه بما يستحي أنْ يذكره أمام الناس، وليكون طليقًا في الدعاء فيدعو ربه بما يشاء؛ لأنه ربُّه ووليه الذي يفزع إليه. وإنْ كان الناس سيحزنون ويتضجرون إن سألتهم أدنى شيء، فإن الله تعالى يفرح بك إن سألته.

الفائدة الحقيقية للنداء :

هى طلبُ الإقبالِ والـمَجِيءِ والانتباهِ. **مثل:** يا طالبُ أَقْبِلْ – يَاظَالِمُ أَدْبِرْ . والنداء الحقيقي لا بلاغة فيه.

الفوائد البلاغية للنداء:

قد يخرج النداء عن فائدته الحقيقية إلى فوائد أخرى. منها:

١ - التعظيم:

مثل قول الشاعر:

يَـا أُمَّـة مِـنْ تُـرَاثِ الدَّهْـرِ خَالِـدَة   مَـضَتْ وَلَمْ تَقْتَـبِسْ آثارُهَـا الأُمَـم

ومثل قول الشاعر:

يَـا سَـمَاءَ الـشَّرْقِ طُـوفِي بالـضِّيَاءِ   وَانْـشُرِي شَمْـسَكَ فِي كُـلِّ سَـمَاء

٢ - الحسرة:

مثل قول الشاعر:

أَيَـا قَـبْرَ هَـذَا الـضَّيْفِ آمَـال أمـه   فَهَلِّـلْ وَكَـبِّرْ وَأَلْـقِ ضَـيْفًا حَاثِـيًا

ومثل قول الشاعر في ابنه الفقيد محمد:

مُحَمَّـدُ مَـا شَيءٌ تُـوِهِّمَ سَـلْوَةً   لِقَلْبِـي إِلا زَادَ قَلْبِـي مِـنَ الْـوَجْدِ

٣ - التمني:

إذا كان النداء للجماد أو لغير العاقل، مثل قول الخنساء:

أَعَيْنَـيَّ جُـودَا وَلاتَجْمُـدَا   أَلا تَبْكِـيانِ لِـصَخْرِ الـنَّدَى

ومثل: يا نِيلَ مِصْرَ هَنِيئًا لَكَ.

٤ - التوبيخ:

مثل قول الشاعر:

يَـا أَيُّهَـا الـرَّجُلُ الْـمُعَلِّمُ غَـيْرَهُ   هَـلا لِنَفْـسِكَ كَـانَ ذَا التَّعْلِـيمُ

حيث يطلب الشاعر من المخاطب أن يعلم نفسه قبل غيره.

ملاحظات:

١ - معرفة الغرض البلاغي للنداء تعتمد على ذوق القارئ أو السامع إلى جانبي ما يحمله التعبير من مضمون .

٢ - قد تستعمل أداة نداء القريب لنداء البعيد. **مثل:** (أصديقي بالهند.كيف حالك ؟) والغرض البلاغي هنا هو بيان قرب المنادى من نفس المتكلم.

٣ - وقد تستعمل أداة نداء البعيد لنداء القريب، **مثل:** (هَيَا جَارِي المخلص، نعم الرجل أنت - هيا جاري اللئيم، بئس الرجل أنت).

فالغرض البلاغي هنا في المثال الأول تعظيم المنادى ورفعة شأنه.

وتجده في المثال الثاني تحقير المنادى وانحطاط قدره؛ لأنَّ هذا راجع إلى الناحية النفسية كما ترى في السياق.

